مسار النخب الشيعية في العراق

أحمد سعداوي

عانى الشيعة العراقيون، بعدّهم طيفاً اجتماعياً ذا لون طائفي وثقافي مُحدّد، أشكالاً من التمييز والاضطهاد في مدى عقود الدولة العراقية الحديثة. وقد اختلف بشأن حجم هذه المعاناة ومساحتها، وهل هي خاصّة أم يشترك فيها جميع العراقيين. ولكنّها في كلّ الأحوال ليست بالوصف الذي تقدّمه سردية الأحزاب الشيعية الإسلامية في الوقت الراهن، وهي سرديةٌ تشوبها كثير من المبالغات والتعمية على الحقائق والتأطير الأيديولوجي الذي يلوي عُنق التاريخ كي يطابق التصوّرات العقائدية المُسبقة.

هناك مخاضٌ سياسيٌ واجتماعيٌ خاضته النُخَب العراقية ذات الخلفية الشيعية، منذ بدايات القرن العشرين، من منطلقات فكرية وسياسية مُختلفة، كان يسعى إلى توسيع المشاركة الشيعية، وما هو أكثر أهمّية؛ المطابقة والمواءمة قدر الإمكان بين التطلّعات الخاصّة بالشيعة وأهداف الدولة العراقية الحديثة وبرامجها. لم يكن هذا طريقاً مفروشاً بالورود دائماً، وكانت الجماعات العراقية الأخرى تخوض صراعها الخاصّ أيضاً، وقد تتصادم مساعي الجماعات المختلفة، ولكنّ الضابط كان الإطار الوطني الذي يريد دمج الجميع في بنية الدولة، وألّا يُرسّخ أيّ منحى تمييزي صارخ.

كانت النخب الشيعية ذات التوجّه القومي الليبرالي في عهد المملكة العراقية فاعلة وحاضرة في كلّ مفاصل صنع القرار، ولم تكن مُجرّد مشاركة فردية، وإنّما رؤية منتشرة بين أوساط النخب الشيعية عن الإيمان بالدولة الحديثة، ودفع الاختلافات المذهبية خلف باب الدولة، خصوصاً أنّ رأس الدولة (الملك فيصل الأول) لم يطبّق رؤية دينية طائفية، وإنّما علمانية تحديثية، يشترك مع العراقيين السنّة في الانتماء المذهبي، ومع الشيعة في الأصل الهاشمي العلوي، ويُؤطّر هذه التفاصيل بالانتماء إلى العروبة المُعتدلة، غير المُتطرّفة (كما في تيارات البعث، والناصريين لاحقاً). ولم يكن هذا السعي ناجحاً على الدوام، ولا مثالياً، خصوصاً إذا نظرنا إلى المشكلة الكردية المزمنة.

على هامش عمل الدولة المؤسّسي، كان الشيعة يهيمنون على أبرز حزبَيْن معارضَيْن، البعث العربي الاشتراكي، جلبه إلى العراق وطوّره عبد الخالق الركابي، وهو شيعيّ من الناصرية، والحزب الشيوعي، حيث أنجبت النجف، وهي معقل الشيعة، عديدين من أعضاء اللجنة المركزية للحزب الذي غدا، بعد عقود، أشبه ما يكون بالحزب الشيعي، لغلبة الشيعة على كوادره.

يتجاهل مؤيّدو السردية الإسلامية الشيعية، اليوم، كلّ تعقيدات التاريخ، لينتهوا إلى خلاصة مريحة لهم: أنّ هذه كلها كانت محاولات لدمج الشيعة بالدولة، ولكنّها فشلت، والمحاولة البديلة هي التوجّه الإسلامي. وقد تعرّض هذا التوجّه، أيضاً، للاضطهاد في الدولة العراقية، وانتهينا إلى آخر نسخة؛ وهي الارتماء في حضن الوليّ الفقيه الإيراني. غير أنّ هناك مغصلة أساسية في هذا التصوّر؛ أنّ مسار النخب الشيعية السياسي والاجتماعي، في مدى 80عاماً، كان يسعى إلى مشاركة أكبر في قيادة الدولة، وتمثيل أكبر للقواعد الاجتماعية ومتطلّباتها الحياتية، وهي ليست في غالبها متطلّبات طائفية، وإنّما إنسانية. وقد كان هذا الهدف يقرّب النخب الشيعية من كلّ الجماعات المُهمّشة أو المُضيّق عليها، من الكُرد والسريان والتركمان، وكذلك الأطياف السياسية المُستبعَدة والمغضوب عليها من النظام.

النتيجة النهائية لهذا المسعى، لو كان له أن ينجح، هي بناء نظام ديمقراطي عادل، تؤدي فيه النخب الشيعية السياسية أدواراً أساسيّة، بحكم الغلبة الديمغرافية للشيعة في العراق، ويكونون هم أشبه بالأوصياء على فاعلية النظام الديمقراطي، وقدرته على تحقيق العدالة والمساواة ورفع الظلم والحيف، وهي أشياء يُفترض أنّ الشيعة عانوا منها، ويستطيعون تمثّل آثارها لدى شركائهم في الوطن.

هذا هو المسار الأصلي للنخب الشيعية، ولا علاقة له بفكرة الهيمنة التي توفّرها قبضة الوليّ الفقيه، فهذه القبضة تجعل الاستقرار في النظام السياسي والوضع العام في البلد مرهوناً بقوّة القبضة، لا بالأسباب الداخلية العميقة التي تخصّ مصالح الجماعات والمكوّنات، وشراكتها في صنع القرار والثروة والتنمية.

نظرة إلى الانتخابات الإيرانية

حسين عبد العزيز

باستثناء مسعود بزشكيان (نائب مدينة تبريز في البرلمان)، جميع المُرشّحين الآخرين لانتخابات الرئاسة الإيرانية من المحافظين (رئيس مجلس الشورى محمد باقر قاليباف، والأمين العام السابق لمجلس الأمن القومي الإيراني عضو مجمع تشخيص مصلحة النظام سعيد جليلي، وعمدة طهران علي رضا زاكاني، ووزير العدل الأسبق مصطفى بور محمدي، والنائب السابق والرئيس المحافظ لمؤسسة الشهداء والمحاربين القدامى أمير حسين قاضي زاده هاشمي). هل هي مصادفة أن يكون خمسة مُرشّحين من أصل ستّة من المحافظين؟ وهل هي مصادفة أنّ غالبية الخمسة هم من جبهة بايداري، أكثر القوى السياسية تشدّداً في إيران وقربا من المرشد علي خامنئي؟ وهل هي مصادفة أن يستبعد مجلس صيانة الدستور مرشّحي التيار الإصلاحي؟ وهل هي مصادفة، أيضاً، أنّ المرشّح السادس من خارج البيئة المحافظة (مسعود بزشكيان) اختير لأنّ فرص وصوله إلى الرئاسة معدومة.

واضح أن القيادة الإيرانية تسعى من ذلك إلى ضبط إيقاع العملية الانتخابية، بحيث تنتهي إلى ما انتهت إليه في آخر انتخابات رئاسية، وجلبت شخصاً لا يعدّ من البيت المحافظ فحسب، بل من التيّار المتشدّد فيه، والأقرب إلى مرشد الجمهورية. هناك أسباب عدّة تفسّر تضييق دائرة المرشّحين للانتخابات، أهمّها أن من شأن وصول رئيس إصلاحي داعم ذي توجهات ليبرالية اجتماعية وسياسية أن يعيد آمال شرائح من المجتمع بإمكانية تحقيق انفتاح تجاه الحريّات، ويؤدي إلى تصادم مع بنية النظام. ومن هذه الأسباب، أيضاً، مسألة انتخاب مرشّح لخلافة المرشد خامنئي، وهذه مرحلة تتطلّب تماسكاً قوياً في داخل النظام، وتقوية الجبهة التقليدية. ويمكن القول إنّ عملية توسيع التيار المحافظ التقليدي ليُخرج مؤسّسات الدولة كافة بدأت مع آخر انتخابات تشريعية، إذ وصلت شخصيات راديكالية إلى البرلمان بدعم مباشر من السلطة. وثمّة سبب ثالث مُهمّ يتعلق بالبيئة الخارجية، فإيران تمرّ في مرحلة مُهدّئة، سواء في صعيد الانفتاح الجزئي مع الولايات المتحدة، أو في صعيد التوتّر الحاصل في المنطقة منذ أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، وهي لا تتحمّل شخصيات ذات توجّهات سياسية، في مستوى التكتيك لا في المستوى الاستراتيجي، بما يعيد التذكير بتجربتي محمد جواد ظريف ومحمود أحمدي نجاد؛ يجب وصول رئيس يشابه في مواصفاته الرئيس السابق إبراهيم رئيسي.

بناء على ما تقدم، ستكون نتائج الانتخابات الإيرانية الرئاسية معروفة في المستوى التيّارات والاتجاهات السياسية، ومجهولة في مستوى الشخوص. ولأسباب أخرى تتعلّق بفقدان شرائح من الشعب الأمل بحصول تغيرات في مستوى الداخل (الحريات، الوضع الحالية، وبانصاف من النيران الكثيفة، وأنماط قتالية قد تكون الأولى من نوعها في المنطقة، بعد أكثر من ثمانية أشهر من تجهيز عدّة المعركة وبنوك أهدافها.

في الجانب اللبناني، يتمنّى حزب الله لو يجد طريقة للنزول عن الشجرة، كان تستطيع الإدارة الأميركية فرض شكل من الاتفاق بين الطرفين المتصارعين يكون متوازناً، حتّى يُعلن في اليوم التالي انتصاره؛ فالحزب، ورغم إصراره على ربط وقف استهدافه مناطق في شمال فلسطين بتوقّف الحرب على غزّة، إلّا أنّ طول مدّة الحرب فاجأته، كما أنّ ظروفه الداخلية والإقليمية، وقائمة أولوياته، لا تسمح له بخوض حرب في الوقت الحالي مع إسرائيل. للحرب الشاملة حسابات مختلفة لدى حزب الله، أكثرها أهمية مشكلة الموارد اللازمة لحرب قد تدوم طويلاً، صحيح أنّ الحزب خزّن في مدار السنوات الماضية كميات مُعتبرة من الصواريخ، لكنّ الخبرة التاريخية للحروب تؤكّد أنّ الأطراف لا تستطيع استخدام جميع أسلحتها، نظراً لاختلاف ظروف المعارك عن حسابات السلطان) وميتافيزيقا سياسية، منها تصدر الأوامر السياسية.

(من أسرة تلفزيون العربي)

في المشهد السياسي الفرنسي

ولاء سعيد السامرائي

فاز حزب التجمّع الوطني اليميني المُتطرّف، يوم التاسع من الشهر الجاري (يونيو/ حزيران)، في فرنسا، بأكبر نسبة من الأصوات المُقترعة، وصلت إلى 31,37%، متجاوزاً باقي الأحزاب المشاركة في الانتخابات، ليحصد 30 مقعداً في البرلمان الأوروبي، ومحقّقاً انتصاراً تاريخياً منذ تأسيسه، وانتشار أفكاره، في عقد الثمانينيّات، بينما لم يحصل ممثّلو حزب النهضة برّعامة إيمانويل ماكرون إلا على 14,6% من الأصوات، و13 مقعداً، ليكون ذلك بمثابة هزيمة أوروبية ووطنية للرئيس ماكرون، بينما نجح حزب فرنسا الأبية في الحصول على 9,89% من الأصوات، وتسعة مقاعد، بزيادة ثلاثة عن الانتخابات السابقة.

لقد أشارت استطلاعات الرأي منذ أشهر إلى فوز اليمين المُتطرّف وأرجحيّة فوزه، وتقدّمه في دول أوروبية عدة. لكنّ مفاجأة هذه الانتخابات في فرنسا حدثت بسبب إعلان الرئيس ماكرون، وبسرعة غير معتادة استغربها كثيرون، منهم أعضاء حكومته، حلّ الجمعية الوطنية، وإجراء انتخابات تشريعية، وبسرعة أيضاً، حدّدت الدورة الأولى لها نهاية شهر يونيو، على أن تكون الثانية يوم السابع من الشهر المقبل (يوليو/ تمّوز). وبينما رحّب حزب التجمّع الوطني اليميني واتباعه بهذه الخطوة، وطلبت مارين لوبان استقالة ماكرون، مُقدّماً، إذا أراد أن يُجري معها مناظرة تلفزيونية، اعتبرت أحزابٌ أخرى، مثل حزب فرنسا الأبيّة، أنّه تصرّف غير مسؤول، وأنّ ماكرون يتسبّب في فوضى فرنسا في غنى عنها.

ليست هي المرّة الأولى في تاريخ فرنسا التي يُحلّ فيها البرلمان، فقد سبق للرئيس الراحل جاك شيراك أن حلّه في 1997، مبرّراً ذلك بحاجة البلد إلى نقلة نوعية، لكنّ مراهنة شيراك كانت في الحصول على أغلبية لليمين، وهو ما لم يحصل. وكان الحلّ الوحيد تشكيل حكومة تعايش بين رئيس من اليمين وحكومة من اليسار ترأسها ليونيل جوسبان، فهل قيام الرئيس ماكرون بما يسمّيه الإعلام، اليوم، «ضربة البوكر» سنتاتي أكلها، وينجح معها في الحصول على الأغلبية البرلمانية، التي لا يملكها في البرلمان؟... يُضاف قرار ماكرون المفاجئ حلّ البرلمان إلى قرارات غير شعبية شهدتها فترته الرئاسية الأولى، وعمّقتها هذه الثانية، التي تميّزت باستخدام المادة 49,3 بكثرة القرارات، بدلاً من التصويت عليها في البرلمان، أكثرها أهمّية قانون التقاعد، الذي سلب عاميْن من الخدمة الكلّية للعاملين من دون أن يحظى بنقاشات برلمانية كافية ومعمّقة، إذ جرى تمريره بسرعة، وسط رفض واحتجاجات شعبية واسعة لم يأبه بها الرئيس، بل اعتبرها تجاحاً شخصياً له. كذلك، كان الأمر مع طريقة إدارة جائحة كورونا، التي رفضها الشعب الفرنسي، وخرج باحتجاجات شعبية واسعة قمعت بقوّة لا تليق ببلد ديمقراطي تكفل قوانينه التظاهر، ويسمح دستوره بالعصيان والتمرّد على ما يضرّ بالمصلحة العليا للبلد، وهو ما رفع من حدّة غضب الفرنسيين، وآثار مشاعرهم وضغينتهم ضدّ شخص الرئيس، يتبعها تصريحه المفاجئ بدخول الحرب ضدّ روسيا بإرسال جنود فرنسيين إلى أوكرانيا، وتدريب قواتها العسكرية على استخدام الأسلحة الفرنسية المقدّمة لهم، فكرة استغربتها الدول الأوروبية، ورفضتها ألمانيا القوّية اقتصادياً، واستهجنتها بعض الأحزاب الفرنسية التي ذكّرت بدور فرنسا المتميّز في مثل هذه الأزمات، وبحراك دبلوماسيّتها المشهود لها عالمياً للتوسّط وتقريب وجهات النظر، ونزع فتيل التصعيد.

في المؤتمر الصحافي المطوّل، الذي عقده الرئيس لإيضاح قراره حلّ البرلمان، بدا واضحاً أنّه يقدّم التبريرات لخطوته، ويوجّه رسالة إلى الشعب الفرنسي لينتخبه، كما انتخب جاك شيراك بعد صعود جان ماري لوبان أمامه في الانتخابات الرئاسية عام 1997، مفادها «أنا أو الفوضى». لكن ماكرون ليس جاك شيراك، وإذا أضيفت هذه إلى الخسائر التي رتّبتها الحرب على غزّة، فهذا يعني أنّ إسرائيل ستكون أمام واقع اقتصادي سوداوي قد يصعب ترميمه لسنوات قادمة. هل تردع هذه المعوقات طرفي الحرب عن خوضها؟... بعد حرب 2006، رجّحت التوقّعات نشوب حرب أخرى بين الطرفين غير مرّة، وبنيت السيناريوهات المُحتملة لهذا الصراع، ونتيجة تكرار الأوضاع المتأزّمة وتراجع الطرفين عن الانخراط في الحرب، بات هناك اعتقاد أنّ حرب 2006 كانت آخر الحروب بين إسرائيل وحزب الله، خصوصاً في ظلّ انشغال الحزب في الحروب الإقليمية، خاصّة في سورية، وبدرجة أقلّ في اليمن، ونظراً لأولويات إيران وتوجّهاتها الاستراتيجية وتفضيلاتها الجيوسياسية، فهل تنتهي الأزمة بين الطرفيْن من دون الاضطرار لخوض الحرب؟... تختلف المعطيات هذه المرّة، لا سيّما في الجانب الإسرائيلي، عن المرّات السابقة، فإسرائيل باتت لديها محدودة تنحصر في جنوب لبنان وشرقه، إلى أبعد الحدود، إذ استطاع الحزب، بتكتيكه وحربه النفسية، زعزعة ثقة قادة الجيش الإسرائيلي بإمكانية تحقيق نصر مبين في الحرب الشاملة ضدّه، في ظلّ استنزاف الجيش وخسائره الكبيرة في غزّة، وعدم قدرته على تحقيق نصر واضح ضدّ الفصائل الفلسطينية، وبدخل في الحسابات الإسرائيلية، أيضاً، حجم الخسائر الاقتصادية المُتوقّعة نتيجة الدمار الذي سيحقّقه حزب الله بالمنشآت الاستراتيجية والعمران في مناطق شمال فلسطين، وإذا أضيفت هذه إلى الخسائر التي رتّبتها الحرب على غزّة، فهذا يعني أنّ إسرائيل ستكون أمام واقع اقتصادي سوداوي قد يصعب ترميمه لسنوات قادمة. هل تردع هذه المعوقات طرفي الحرب عن خوضها؟... بعد حرب 2006، رجّحت التوقّعات نشوب حرب أخرى بين الطرفين غير مرّة، وبنيت السيناريوهات المُحتملة لهذا الصراع، ونتيجة تكرار الأوضاع المتأزّمة وتراجع الطرفين عن الانخراط في الحرب، بات هناك اعتقاد أنّ حرب 2006 كانت آخر الحروب بين إسرائيل وحزب الله، خصوصاً في ظلّ انشغال الحزب في الحروب الإقليمية، خاصّة في سورية، وبدرجة أقلّ في اليمن، ونظراً لأولويات إيران وتوجّهاتها الاستراتيجية وتفضيلاتها الجيوسياسية، فهل تنتهي الأزمة بين الطرفيْن من دون الاضطرار لخوض الحرب؟... تختلف المعطيات هذه المرّة، لا سيّما في الجانب الإسرائيلي، عن المرّات السابقة، فإسرائيل باتت لديها

> ليس مستغرباً فوز اليمين المُتطرّف لأنّ شرائح واسعة من الفرنسيين تعزو مسؤولية الوضع المتدهور إلى العولمة، وإلى قوانين الاتحاد التي تخنق فرنسا

الذي لم يفقر فرنسا ويوصلها إلى ما هي عليه اليوم، بلداً مديوناً تتحكّم به العلاقة مع اللوبيات المُختلفة، التي تصنع سياسة الاتحاد الأوروبي، فحسب، بل بلداً لا سيادة له ولا صلاحيات فعلية لحكوماته. أمّا دعوة الرئيس إلى الوحدة الشعبية، فقائلاً: «هل نريد أن نربح معاً أم نريد أن نخسر متفرّقين؟ هذا هو البديل الموجود أمامنا». لقد ذهبت 30% من أصوات الناخبين إلى أحزاب اليسار، في واقع مختلف تماماً، بدت غير موفّقة، وأسلوباً غير ناجح ولا مُقنعاً للفرنسيين، الذين يعيشون تدهور أوضاع البلد أكثر فأكثر، مع سياسة حكومية ليبرالية تنفّذ أجندة العولمة، والاتحاد الأوروبي، ليس مستغرباً فوز اليمين المُتطرّف لأنّ شرائح واسعة من الفرنسيين تعزو مسؤولية الوضع المتدهور إلى العولمة، وإلى قوانين الاتحاد التي تخنق فرنسا، وتتسبب بمشكلات كبيرة لقطاعات واسعة من الشعب الفرنسي، سياسات كرّسها الرئيس ماكرون ومن سبقه، وتعتزم مارين لوبان أن يكون برنامجها إعادة الأوساط والقطاعات التي تضرّرت من هذه السياسات. لقد أسفرت الانتخابات الأوروبية عن مشهد سياسي يشبه إلى حدّ كبير المشهد السياسي لفترة ما بين الحربين العالميتين.

اجتاز حزب الاسترداد، الذي أسّسه الصهيوني العنصري إيريك زيمور، المتحالف مع ماريون ماريشال، ابنة أخت مارين لوبان، عتبة 5% من الأصوات، وقد رفضت مارين لوبان التحاق هذا الحزب بحزب الجبهة الوطنية، وكانت ضربة كبيرة لزيمور، الذي نشط في الأشهر الأخيرة لتشكيل تحالف يميني أوروبي مدعوم بأموال صهيونية أميركية لمواجهة الإسلام والمسلمين في أوروبا، وعقد لذلك لقاء حضرته شخصيات هذه الأوساط. وقد دفع إبعاد زيمور من الالتحاق بالتجمّع الوطني إلى إعلان رئيس مجلس المنظّمات اليهودية السابق في فرنسا روجيه كوكرمان إلى التصريح بأنّه سيصوّت لحزب التجمّع، الذي صاحب مقولات الإحلال والاستعمار الإسلامي لفرنسا، ليساله عن الفكر الذي سيطرحها في حملته الانتخابية. في حين ركّزت مارين لوبان، في خطابها بعد فوز قائمة حزبها بقيادة جوردان باردييلا، على جاهزية حزبها للحكم في حال فوزهم في الانتخابات التشريعية المقبلة، وأنّهم جاهزون لتقويم البلد، والدفاع عن مصالح الفرنسيين، ووضع حدّ للهجرة الواسعة، وأن تكون القوّة الشرائية أولوية، وكذلك إعادة تصنيع فرنسا لإعادة الحياة إليها. ومن أهمّ ما قالته، ربّما، توجيهها رسالة إلى قادة الاتحاد الأوروبي، وفيها أنّ انتصار حزبها «يغلق حقبةً أليمة من عولمة أدّت كثيراً من شعوب العالم... هذا الانتصار هو في اتجاه التاريخ الذي يشهد عودة الأمم ومفهوم الحماية»، وأضافت: «نحن بلد وشريد أن نبقى كذلك»، في إشارة إلى رغبتها بإخراج فرنسا من الاتحاد الأوروبي. أمام هذا الفوز الكاسح لـ«التجمّع الوطني»، دعا نائب حزب فرنسا الأبيّة، فرانسوا روفان، إلى تشكيل جبهة شعبية ضدّ حلّ الجمعية الوطنية، وقطع الطريق في الانتخابات المقبلة على اليمين المُتطرّف، ودعا جميع أحزاب اليسار إلى جبهة واحدة تسمّى «الجبهة الشعبية»، قائلاً: «هل نريد أن نربح معاً أم نريد أن نخسر متفرّقين؟ هذا هو البديل الموجود أمامنا». لقد ذهبت 30% من أصوات الناخبين إلى أحزاب اليسار، في واقع مختلف تماماً، بدت غير موفّقة، وأسلوباً غير ناجح ولا مُقنعاً للفرنسيين، الذين يعيشون تدهور أوضاع البلد أكثر فأكثر، مع سياسة حكومية ليبرالية تنفّذ أجندة العولمة، والاتحاد الأوروبي، الفرنسيين، وبالأخص الحزب الاشتراكي، الذي شكّل لسنوات أكبر القوى السياسية المعارضة، ليلتحق بسياسة العولمة.

لن يكون مستغرباً فوز اليمين المُتطرّف في الانتخابات التشريعية، لأنّ شرائح واسعة من المجتمع الفرنسي، اليوم، تعزو مسؤولية الوضع المتدهور إلى العولمة، وإلى قوانين الاتحاد الأوروبي في بروكسل، التي تخنق فرنسا، وتتسبب بمشكلات كبيرة لقطاعات واسعة من الشعب الفرنسي، سياسات كرّسها الرئيس ماكرون ومن سبقه، وتعتزم مارين لوبان أن يكون برنامجها إعادة الأوساط والقطاعات التي تضرّرت من هذه السياسات. لقد أسفرت الانتخابات الأوروبية عن مشهد سياسي يشبه إلى حدّ كبير المشهد السياسي لفترة ما بين الحربين العالميتين.

اجتاز حزب الاسترداد، الذي أسّسه الصهيوني العنصري إيريك زيمور، المتحالف مع ماريون ماريشال، ابنة أخت مارين لوبان، عتبة 5% من الأصوات، وقد رفضت مارين لوبان التحاق هذا الحزب بحزب الجبهة الوطنية، وكانت ضربة كبيرة لزيمور، الذي نشط في الأشهر الأخيرة لتشكيل تحالف يميني أوروبي مدعوم بأموال صهيونية أميركية لمواجهة الإسلام والمسلمين في أوروبا، وعقد لذلك لقاء حضرته شخصيات من هذه الأوساط. وقد دفع إبعاد زيمور من الالتحاق بالتجمّع الوطني إلى إعلان رئيس مجلس المنظّمات اليهودية السابق في فرنسا روجيه كوكرمان إلى التصريح بأنّه سيصوّت لحزب التجمّع، الذي يحاربه ويتهمونه، منذ الثمانينيات، بمعاداة السامية.

(إعلامية عراقية في باريس)

من يهمل قضاياه يمكّن الآخرين من استغلالها

عبد الباسط سيدا

لم يعد سرّاً أنّ وجود نظام إيراني منافس لدول المنطقة (تركيا والعراق ودول الخليج...)، ومُختلف معها، كان باستمرار جزءاً من الخطّة الغربية لضبط المعادلات الإقليمية والتحكّم فيها. هذا، بصرف النظر عن الشعارات التي يرفعها النظام المعني راهناً، ويعمّل عن الأذرع العسكرية التي أشرف على تشكيلها، وروّجها إعلامياً، وثبّتها في دول مهمّة في المنطقة، التي لا يمكن التحرّك فيها من دون موافقة إسرائيلية ضمنية على الأقلّ. والدول المعنية، هنا، هي العراق، وسورية، ولبنان، واليمن، بالإضافة إلى الدور الإيراني في قطاع غزّة، ومحاولة الامتداد إلى الضفّة الغربية، وذلك للتمكّن من التحكّم بالورقة الفلسطينية بصورة شبه كاملة.

كان نظام الشاه يعتمد على التلويح بالقوّة العسكرية العارية، وعلى أجهزة مخابراته القويّة، التي كانت موجّهة بتوجّهات في ميدان التنكيل بالمعارضين. هذا، إلى جانب بناء العلاقات مع الأنظمة السياسية التي وجد أنّ مصالحها تتقاطع مع مصالحه، ومع أبعاد دوره في المنطقة. ومع خروج الشاه من إيران، بعدما أدرك أنّ دوره انتهى، وهيمنة نظام الخميني على السلطة (إثر سلسلة طويلة من التصفيات التي لجأ إليها الأخير للتخلّص من المنافسين الواقعيين والمحتملين، وهي تصفيات لم تكن تتناسب أبداً مع السهولة النسبية التي اتسمت بها عملية نقل السلطة بين الأسرة البهلوية، 1925-1979، ونظام الخميني المستمر منذ 1979).

أمّا الأدوات الأيديولوجية التي استند إليها النظام الإيراني الإسلاموي بقيادة رجال الدين، فقد تمحورت أساساً حول ورقتَيْن رئيسيّتَيْن: المظلومية الشيعية في المنطقة، ماضياً وحاضراً؛ و«تحرير القدس». ولاحظ أنهما تندرجان في الأساس ضمن مهام الدول العربية ذاتها، التي فيها عدد وازن من المواطنين الشيعة (العراق، ولبنان، ودول الخليج بصورة عامة، وبنسب متفاوتة، واليمن، وسورية إلى حدّ ما). هذا، بينما تشكّل الورقة الفلسطينية القضية المركزية لسائر الدول العربية التي وقفت إلى جانب الفلسطينيين منذ أيام النكبة الكبرى عام 1948، كما ساندت دول الطوق في مختلف الحروب (في 1967 و1973 و1982)، وطرحت، في الوقت ذاته، مبادرات عدّة للسلام، واكثرها اكتمالاً تلك التي طرحها الملك السعودية الراحل عبد الله بن عبد العزيز، والتي تبنّتها قمّة بيروت في عام 2002، ومحورها الأرض مقابل السلام، وتستند في جوهرها إلى قرار مجلس الأمن 242 لعام 1967، بخصوص التوصّل إلى حلّ بشأن الغرب الإيراني الإسلامي، والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني على وجه التحديد.

ولكن، وحصيلةً لانشغال كلّ دولة عربية بقضاياها الداخلية، وخلافاتها البينية، جرى تجاهل الاستراتيجية العربية المتكاملة. ورغم كثرة عدد مؤتمرات القمّة البروتوكولية، وتشكيل اللجان المختلفة، لم يكن هناك أيّ حرص جادّ لتنفيذ ما اتفق بشأنه، وقد جاء ذلك متوافقاً ومتناغماً مع توجّهات (وخطط) الحليفَيْن المستجدَّين؛ حافظ الأسد ونظام الخميني، في أوائل «انقلاب الخميني» (1979)، وبدايات الحرب العراقية الإيرانية (1980)، فالأسد كان يحرص على امتلاك الورقة الفلسطينية، ليستخدمها في انتزاع دور إقليمي بعد خروج مصر من المعادلات العربية نتيجة توقيعها اتفاقية كامب ديفيد عام 1978، وبعد تورّط خصمه اللدود صدّام حسين في الحرب مع إيران (1980-1988)، ومن ثمّ غزوه الكويت في 1990.

وجاءت الحرب الإسرائيلية المستمرّة منذ نحو تسعة أشهر على غزّة لتؤكّد من جديد أهمّية الورقة الفلسطينية، الأمر الذي قد يُفسّر سرّ الاستماتة الإيرانية من أجل استغلال هذه الورقة والاستفادة منها. وكان اللافت في هذه اللوحة حدوث تحوّل كبير في مواقف أوساط شعبية واسعة بين العرب، من جهة تعاملها الإيجابي مع الموقف الإيراني، وذلك بفعل وقوعهم تحت تأثير الدعاية الإيرانية المُضلّلة، التي تسوّق مزاعم عن دعم «أذرع المقاومة»، بقيادة النظام الإيراني، حركة حماس، وغيرها من الفصائل التي تحرص (إيران) على اعتبارها جزءاً مهمّاً من مشروع «المقاومة»، وهذا في الأساس مشروع إيراني يستخدم أداة للتوسّع والهيمنة.

بناءً على ما تقدّم، يستوجب الوضع العام في الإقليم وجود استراتيجية عربية متكاملة، ولا سيّما من دول مجلس التعاون الخليجي، تنفذ بكلّ جدّية، انطلاقاً من الاعتقاد بأنّ الفعل الإعلامية في غالب الأحيان، فهو أمر لن يكون سوى في مصلحة الإيرانيين، لأنّه سيضع الضعف والترهّل العربيّيْن في مواجهة الإصرار الإيراني على الوصول إلى الأهداف بكلّ الأساليب، واستخدام جميع الأوراق. وحتّى تكون الاستراتيجية العربية المقترحة منتجة، لا بدّ أن تتمحور حول بندَيْن أساسيَيْن: يؤكّد الأول ضرورة تحويل قضية الشيعة في المجتمعات العربية إلى واحدة من القضايا المركزية في البرنامج الوطني العام، وقطع الطريق أمام الاستغلال الإيراني لها، ويتحقّق ذلك من خلال دعم المرجعيات الوطنية المعروفة، واعتماد الخطط والإجراءات التي تطمئن المواطنين الشيعة، وتأخذ بالاعتبار واقع التهميش والإهمال الذي فرض عليهم وعلى المناطق ذات الغالبية الشيعية بصورة عامة، بغية إزالة الغبن واحترام الخصوصية، فالشيعيّة في نهاية المطاف نتاج مرحلة لها علاقة بطبيعة الأوضاع وتباين المواقف التي كانت بعد وفاة الرسول، ثم أصبحت ظاهرة عانة مع انتشار الإسلام.

ولكنّ ما حصل، منذ البدايات وصولاً إلى أيامنا هذه، أنّ «الإسلام الإيراني»، إذا صحّ التعبير، حاول الاستفادة من هذه النقطة، بل جرى تبنّي الشيعيّة مذهباً رسمياً في عهد الدولة الصفوية. وقبل ذلك، كانت هناك توجّهات في هذا المجال في عهد البويهيين، في سياق محاولة تأكيد الهوية الخاصّة في مواجهة تلك التي كان السلاجقة، ومن بعدهم العثمانيون، يسعون من أجل تثبيتها وتعميمها، واعتبارها بمثابة المسوّغ العقائدي/ الأيديولوجي، الذي يمنحهم مشروعية الحكم وإعلان الخلافة، وما نعنيه بذلك هنا، هو الإسلام السنّي. ولكن، في المقابل، لا بدّ من بذل جهود حثيثة في الوسط الشيعي من أجل ترسيخ الشعبية الوطنية، إذا جاز لنا التعبير، والقطع مع المحاولات التوظيفية في نطاق «المشروع الإيراني» الذي يسعى إلى استغلال ورقة المظلومية الشيعية، ووضعها في خدمة مشاريع توسّعية إقليمية تتخذ من ورقة حماية الشيعة، والدفاع عنهم، والتبشير بالمذهب المُخلّص، مُجرّد ورقة أيديولوجية تعبوية تخدم المشروع المذكور.

ويبقى السؤال بشأن مدى انعكاسات الوصول إلى مشروع حلّ بين الإسرائيليين والفلسطينيين على الأوضاع السورية، خاصة في أجواء تعدّدية الاحتمالات والسيناريوهات الخاصّة بإمكانية إعادة تظهير بشّار الأسد وتعويمه عبر المؤتمرات والاجتماعات الإقليمية والدولية. فجدوى مثل هذا التظهير ما زالت في سياق التساؤلات والتكهّنات غير المعروفة النتائج. فأن يُسوّق بشّار الأسد من جديد بعد كلّ الذي فعله، وبفعله، بالسوريين، منذ أكثر من 13 عاماً، وبعد كلّ ما ألحقه من خسائر بالأمن الاستراتيجي العربي، وبعد كلّ الجرائم التي ارتكبها في لبنان والعراق، ذلك كلّه من الأمور التي لا يمكن أن يقبل بها أيّ عاقل، وحتّى نصف عاقل.

(رئيس سابق للمجلس الوطني السوري)

> لا بدّ من بذل جهود حثيثة في الوسط الشيعي من أجل ترسيخ الشيعية الوطنية، والقطع مع المحاولات التوظيفية في نطاق «المشروع الإيراني»

في معوقات الحرب بين حزب الله وإسرائيل

غازي دحمان

لا شيء هادئ بين جنوب اللبطاني وشمال كريات شمونة، إن يُغطّي دخان الحرائق والقذائف صورة الميدان، الذي ينطوي على جراحٍ مستعر في الجانبين، وتترقّب أطراف عديدة لُحظة الصفر المتوقّع أن يمتدّ لظاها إلى أبعد من حدود المعركة الحالية، وبانضاف من النيران الكثيفة، وأنماط قتالية قد تكون الأولى من نوعها في المنطقة، بعد أكثر من ثمانية أشهر من تجهيز عدّة المعركة وبنوك أهدافها.

> استطاع حزب الله زعزعة ثقة قادة الجيش الإسرائيلي بإمكانية تحقيق نصر مبين في حرب شاملة ضدّه

في الجانب اللبناني، يتمنّى حزب الله لو يجد طريقة للنزول عن الشجرة، كان تستطيع الإدارة الأميركية فرض شكل من الاتفاق بين الطرفين المتصارعين يكون متوازناً، حتّى يُعلن في اليوم التالي انتصاره؛ فالحزب، ورغم إصراره على ربط وقف استهدافه مناطق في شمال فلسطين بتوقّف الحرب على غزّة، إلّا أنّ طول مدّة الحرب فاجأته، كما أنّ ظروفه الداخلية والإقليمية، وقائمة أولوياته، لا تسمح له بخوض حرب في الوقت الحالي مع إسرائيل. للحرب الشاملة حسابات مختلفة لدى حزب الله، أكثرها أهمّية مشكلة الموارد اللازمة لحرب قد تدوم طويلاً، صحيح أنّ الحزب خزّن في مدار السنوات الماضية كميات مُعتبرة من الصواريخ، لكنّ الخبرة التاريخية للحروب تؤكّد أنّ الأطراف لا تستطيع استخدام جميع أسلحتها، نظراً لاختلاف ظروف المعارك عن حسابات السلطان) وميتافيزيقا سياسية، منها تصدر الأوامر السياسية.

(من أسرة تلفزيون العربي)

عندما يحدّثنا إبراهيم العرجاني في «نيويورك تايمز»

معن البياري

المعلوم عن النائب المصري، مصطفى بكري، أنه قبل علوّ كعبه في حواشي السلطة في بلده، صحافي تراس تحرير غير صحيفة، ومؤدّى هذا أن عليه عندما يتكلّم، في برنامج تلفزيوني له في فضائيةٍ مصرية، عن مادّة صحافية، أن يعرّف مشاهديه ومستمعيه بجنسها بالضبط. فليست مقابلةً مع إبراهيم العرجاني، والذي يلحّ على تعيينه بصفتَيْه، المهندس الشيخ، ما نشرتها صحيفة نيويورك تايمز في 20 يونيو/ حزيران الجاري، وإنما هو تقريرٌ، تضمّن إجاباتٍ من هذا الرجل عن أسئلة صحافيَيْها، فيفيان لي وعماد مكّي، في مكتبه في القاهرة، مع ردود فلسطينيين غرّيين عليها، تكذّبها إلى حدٍّ بعيد، ساهم في محاورتهم مراسلٌ للصحيفة في القدس، آدم رسغون. وبذلك، لسنا أمام مقابلةٍ مع الرجل، كما زعم بكري واحتفى بها، وإنما هو تقريرٌ أرادت الصحيفة العتيدة فيه التعريف بـ«الملياردير المتّهم من الفلسطينيين الغارّين من غزّة»، وهذا عنوان التقرير. وأرادت بثّ ما يكابده الغرّيون الذين يخرُجون من القطاع من

رياح طهران وباريس وبريتوريا والسفينة المغاربية

عبد الحميد اجماهيري

هناك اليوم ثلاث عواصم على الأقلّ، من ثلاث قارّات متباعدة جغرافياً وجيوسياسياً، وحتّى أيديولوجياً، تتوجّه إليها دول المغرب الكبير وشعوبه، لما لها من تأثير في المناخ واتجاهات رياحه في المنطقة. العواصم هي باريس وبريتوريا وطهران، ولها في تقلّبات المزاج المغاربي نصيب، بهذا القدر وذاك، حسب السياق، وحسب طبيعة العلاقة الآنية، وبناءً على السوابق الديبلوماسية مع المغرب الكبير.

في جنوب أفريقيا، التي تُعدّ قوّةً أفريقية وازنة بطموح مُعلن لكي تكون قوّة إقليمية ورائدة قارّية، والمخاطب الرئيسي دولياً، حظيت آخر الانتخابات، وما انتهت إليه من تحالف حكومي جديد بمتابعة دقيقة من دول المغرب الكبير، وخصوصاً البلدَين الكبيرَين فيه؛ المغرب والجزائر، تكشف إلى أيّ حدّ تؤثّر رياح الصناديق الجنوب أفريقية في تحديد المزاج السياسي المغاربي. في فرنسا الشيء نفسه، على أساس أنّ ما ستسفر عنها انتخابات الشهر الحالي (يونيو/ حزيران) ستحدّد كثيراً من مناخات العمل والعلاقات، منذ أظهرت الانتخابات الأوروبية تراجعاً كبيراً لحزب الرئيس إيمانويل ماكرون، وتقدّماً كبيراً على حسابه لقوى اليمين المُتطرّف بقيادة الجبهة الوطنية، التي تتزعّمها مارين لوبان. ثالثاً، توقّعات السياسة الخارجية الإيرانية في الاستعدادات المقبلة التي تحضر بدورها في عواصم المغرب الكبير، منذ رحيل الرئيس إبراهيم رئيسي ووزير خارجيته حسين أمير عبد اللهيان، وانطلاقاً من مسلسل البحث عن خليفة آية الله علي خامنئي.

ولعلّ القرب يفرض نفسه في البدء، بتحليل آثار الانتخابات الفرنسية المقبلة على توازنات المغرب الكبير، وأهمّ ما يمكن أن يُقلق في صعود اليمين المُتطرّف مآل الجالية المغاربية، باعتبار أنّ معادلات الفوز والخسارة تبني على قواعد تهمّ المغرب الكبير، ومنها مطاردة الأجانب، ويمثّل المغاربيون منهم 50% (من مجموع المهاجرين)، مع تفاوت بين الجاليات وأصولها في سجلّ الحرّيات الإنسانية التي تشملهم. كما يوجد أبناء المغرب الكبير في مرمى السياسات التي تبشّر بها أحزاب اليمين، واليمين المُتطرّف، لإرضاء جزء من ناخبيهم، والقائمة على التلويح بخطر الإسلام وأسلمة أوروبا أو ما صارت تُعرف بنظرية «الاستبدال»، أي استبدال شعوب أوروبا بجاليات مسلمة (!) ومن سوء الحظّ أنّ الاتفاق حاصلٌ في التحليلات والأبحاث السوسيولوجية والسياسية، طوال العقد الأخير، بأنّ الصعود الحتمي، تقريباً، لليمين المُتطرّف، مرتبط بـ«رهانات بنيوية ذات صلة بالهُويّة والتطوّر متعدّد الثقافات في المجتمعات الحديثة»، على حدّ تعبير جيل إيفالدي، من المركز الوطني الفرنسي للأبحاث العلمية، والخبير في الأحزاب اليمينية المُتطرّفة والظاهرة الشعبوية في أوروبا. ولعلّ الجوار المغاربي، من ليبيا إلى موريتانيا، مروراً بتونس والمغرب والجزائر، مفروضٌ عليه أن يتّخذ هذا التنامي بجدّية أكبر من الوضع الحالي، لكنّ الواقع أنّ المقاربات تظلّ فردانية، إن لم تكن تنافسية، حتّى في تدبير (تسيير) المشترك الديني في باريس مثلاً، والذي يشكّل حطب نيران اليمين. وعليه، يجعل الواقع السياسي، الذي سيتحدّد حسب بوصلة الناخب، المغرب الكبير معنياً مباشرة بخصوص السياسة التي ستباشرها القوّة السياسية اليمينية المقبلة، سواء تعايشت مع الرئيس الحالي أو دفعته إلى الاستقالة قصد إجراء انتخابات رئاسية سابقة لأوانها، في حال فوزها الواضح، كما تذهب إلى ذلك استطلاعات الرأي. وما يقلق قطاعاتٍ واسعةً في أوساط المهاجرين والمتتبّعين، وما يشغل المغاربيين منهم على وجه الخصوص، أنّ دولهم لم تجد الحدّ الأدنى العملي أو المعنوي للتصرّف كتلاً واحدة. وعليه، لم يصنعوا سياستهم مع الصعود اليميني، وهذا الصعود هو الذي سيصنع سياساتهم (!)

والمغرب الكبير شريك كبير لأوروبا، ولفرنسا بالذات، كما أن للأخيرة استراتيجيات خاصّة، سواء بالنسبة إلى كل من تونس والمغرب والجزائر وموريتانيا أو بالنسبة إلى ليبيا منذ أيام معمّر القذّافي. وبالتالي، المغرب الكبير مجالها الحيوي، ولعلّه الأخير، الشيء الذي يجعل كلّ القوى السياسية تنظر إليه نظرة أولوية وتأثير، وجزء كبير من السياسة الخارجية الفرنسية ستصنعه المقاربات التي سيمليها فهمها للمغرب الكبير. وهو ما يجعل العواصم المغاربية تنتظر النتائج، وبالتالي، لكلّ تصويت فرنسي انعكاساته المغاربية، وغير خافٍ أنّ النخب تتابع، في هذا البلد أو ذاك، عن كثب، متغيّرات السياسة الداخلية، ويتمّ تشريح المواقف والعودة إلى خلفيات كلّ زعيم يميني يتقدّم المشهد. حصل ذلك مع جورجيا ميلوني، اليمينية في إيطاليا، التي استرجعت شبكاتُ التواصل الاجتماعية، المناصرة للانفصاليين، صورها وهي تدعم «بوليساريو» قبل أن تفرض عليها الدولة منطقها في التعاون الجيوسياسي. ويحدُث ذلك مع مارين لوبان، وفريقها في فرنسا، الذي لا يُخفي معاكسته سياسات الدولة الجزائرية. وغير خافٍ، كذلك، أنّ العواصم المغاربية تختلف انتظاراتها من النتائج التي ستسفر عنها الانتخابات الحالية في باريس. الشيء نفسه يتحدّد في جنوب أفريقيا، فالمغاربة الذين تابعوا عن كثب ما يجري في بريتوريا، كانوا ينتظرون، على أمل كبير، اندحار الهيمنة التي فرضها المؤتمر الوطني الأفريقي، وهي هيمنةٌ لم تكن في مصلحة المغرب، منذ صارت جنوب أفريقيا راعية لجبهة البوليساريو الانفصالية، بل تجاوزت الشقيقة الجزائر، أحياناً، في التبنّي والدعم. وإذا كانت العلاقة بين الجزائر وبريتوريا ظلّت في مستوىً يثمّنه الطرفان، فإنّ هناك تباينات في مسار العلاقة بين المغرب وجنوب أفريقيا تفرض نوعاً من التأريخ لها، فقد ظلّت جنوب أفريقيا، وطوال سنوات نيلسون مانديلا، ثمّ بعد مجيء تابو مبيكي، وفي بداية ولايته، غير متحمّسة للاعتراف بالجمهورية المعلنة في تندوف فوق التراب الجزائري، ولم ينسَ مانديلا ورفاقه ما قدّمه المغرب لقضيتهم، وما زالت فيديوهات الاستقبال الحار والكبير الذي خصّصه لوزير الشؤون الأفريقية، في الستينيات، عبد الكريم الخطيب، رحمه الله! حاضرة في الشبكات التواصلية، لمّا احتفل به مانديلا في ملعب كرة القدم، وقدّمه في حفل تنصيبه في إبريل/ نيسان 4991 صديقاً لثورة ألوان الطيف. لكنّ الوضع تغيّر مع مطلع سنة 2000، مع مجيء الرئيس جاكوب زوما وزوجته، التي قادت الجناح الأكثر عداء للمغرب في السياسة والديبلوماسية لحسابات داخلية. ولطالما تواجَه المغرب مع جنوب أفريقيا، في حين نسّقت شقيقته الجزائر عملها معها في أفق محاصرته، وهذه المعادلة قد تتغيّر. ومن المفارقات أنّ الصحافة الفرنسية هي التي تنبّأت، قبل الانتخابات، بأنّ فقدان المؤتمر الوطني للهيمنة سيكون في مصلحة الرباط، إذ حصد الحزب في الانتخابات العامة التي جرت في 29 مايو/ أيّار الماضي 40% من الأصوات، ليخسر بذلك الأغلبية المطلقة في البرلمان للمرّة الأولى منذ 1994، وحدث أن تطوّرات الوضع جاءت بالتحالف الليبرالي إلى سدّة الائتلاف الحاكم. وهو تحالفٌ لا يعادي المغرب، كما أنّه يعتبر مُقرّباً من الغرب، وعضواً في الليبرالية الدولية التي تضمّ أحزابا مغربية، بعضُها جزءٌ من الحكومة الحالية. وفي حين يترقّب المغرب تطوّرات الوضع، لم تقدّم الجزائر سبباً لغياب ممثّلين رسميين لها، من مستوياتٍ عليا، كما هي العادة، إلى حفل تنصيب الرئيس الجديد رامافوزا. ولعلّ السبب قد يكون في عدم دعوة زعيم الانفصاليين إبراهيم غالي، الذي كان يُفرش له السجاد الأحمر ويستقبل استقبال الرؤساء. ويعدّ حزب التحالف الديمقراطي ثاني أكبر حزب سياسي في جنوب أفريقيا بعد المؤتمر الوطني الأفريقي الحاكم، أنّ تعزيز علاقات التعاون بين المغرب وجنوب أفريقيا، وهما قوّتان أفريقيتان وازنتان، يشكّل مصدر قوة رئيس للقارّة جمعاء. وسبق للمتحدّث باسم الحزب في قضايا السياسة الخارجية ستيفنز موكغالابا، أن قال إنّ في وسع المغرب وجنوب أفريقيا، باعتبارهما من أكبر الاقتصادات في أفريقيا، أن يضطلعا بدور القاطرة في تعزيز التكامل في القارّة. على كلّ، تهبّ رياح جنوب أفريقيا بقوّة على المغرب الكبير، والتغيرات التي سيفرضها وجود تحالف متعدّد الأجنحة ستحدّد أجندة داخلية أكثر ملاحية على القيادة القادمة.

وفي المثلث الخارجي، ذي التأثير المغاربي، تحضر إيران، كذلك، التي بدأت تطبّع علاقتها مع جنوب أفريقيا، ومحاولتها لعب دور محوري في شمال أفريقيا والساحل، باعتبارهما مناطق حيوية للمغرب الكبير. بالنسبة لإيران، لا أحد يمكنه أن ينتظر الأمل من تحرّكات طهران في المغرب الكبير. ولعلّ الحقيقة الجغرافية أنّ سياسة إيران لا تتغيّر من ناحية أنّها لا تجد تربة خصبة لها إلا في الفضاءات الجيوسياسية التي تكون الدولة فيها منهارة أو منعدمة أو في حالة حرب أو في طور التشكل المهزوز، ولنا في الشرقّ الأوسط خريطة واضحة للطريق الشاقّة التي تريدها إيران. ولعلّ التوجه نحو تونس، الموجودة في حالة احتضار مؤسّساتي واضحة، وعسر في التنفّس الاقتصادي، هو في الواقع بداية لانهيارها، ولكن بالنسبة لطهران، وبالخصوص روّادها في تصدير الآثار المدمّرة للثورة، هي فرصة لتضع قدمها علانية في دولة مغاربية والتحرّك لمناكفة الدول التي تعاديها، كما هو حال المغرب، وللضغط على موريتانيا لإيجاد موطئ قدم في مشارف الساحل وجنوب الصحراء. وليس من شأن نشاطها في التراب التونسي أو في التراب الجزائري مثلاً أن يطمئن الجيران المغاربيين الآخرين، ولا يمكن تصوّر تطور إيجابي بحضور هذه المعادلة في العلاقات المغاربية. قد يكون هناك أمل صغير في أن يتغيّر اليمين مع السلطة، باعتبار قوة المؤسّسات في أوروبا، ووجود سلطات مضادّة وشعوب مسيّسة، وإن كان هذا الرأي ليس سائداً للأسف، ونظراً إلى أنّ قواعد السلوك ليست كلّها مكتوبة، لكنّ الذي قد يفرض نوعاً من التروّي هو الحقائق السياسية والاجتماعية، وقد تسعفنا تطوّرات الديمقراطية الجنوب أفريقية في تغيير بريتوريا من طبيعة حضورها في سياسات دول المغرب الكبير نحو أفضلية بناء شريك شمال. أفريقي متكتّل وتخفيف حدّة المواجهات في الساحة الأفريقية، كما قد لا نستبعد أن تنتبه إيران إلى استحالة خوض حروبٍ جديدة، ولو بكفالة، في جبهة أفريقية مغاربية بعيدة كلّ البعد عن مرتكزاتها الحربية في الشرق الأوسط، والاكتفاء بالدعاية (البروباغاندا)، لكنّ الثابت أنّ الانتظارية لم تعد سالكة في وضع كهذا، بحيث صار من المطلوب أن تستفز السّلطاتُ الجديدة في هذه العواصم أصحاب القرار المغاربي كلّها، من أجل أفق مغاربي مغاير لما هو موجود. والأمر صعب للغاية، سيّما أنّ كلّ المحاولات من أجل تلطيف الأجواء (كما هو حال اليد الممدودة للملك محمد السادس والوساطات العربية) لم تلقَ صداها المطلوب، في وقت هناك دعوات إلى «نسيان البناء المغاربي»، عند جزء مُهمّ من النخبة.

(كاتب مغربي)

> انتظر المغاربة، على أمل كبير، اندحار الهيمنة التي فرضها المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب أفريقيا، وهي هيمنة لم تكن في مصلحة المغرب

> في المثلث الخارجي، ذي التأثير المغاربي، تحضر إيران، التي بدأت تطبّع علاقتها مع جنوب أفريقيا، ومحاولتها لعب دور في شمال أفريقيا والساحل

لبنان: حرب عاجلة أم آجلة؟

معين الطاهر

يتّسع نطاق المواجهة الدائرة بين المقاومة في لبنان والجيش الإسرائيلي، وتتجاوز قواعد الاشتباك المعمول بها منذ الثامن من أكتوبر/ تشرين الأول 2023 لتتحوّل حرباً شاملةً، وهي حربٌ، إن نشبت، ستكون طويلة وصعبة وقاسية على الطرفَين، وستمتدّ إلى لبنان كلّه، وفلسطين المُحتلّة كلّها. وقد يُؤخّر اندلاع هذه الحرب، فترةً لن تطول، التوصّل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في غزّة، مع احتمال استغلال العدوّ وقف إطلاق النار على جبهته الجنوبية لزجّ مزيد من قوّاته في جبهته الشمالية، وتصعيد القتال فيها، مع مخاطر إقليمية لتوسّعه.

منذ اليوم الأول للحرب، تصاعدت المُؤشّرات على حتمية توسّع القتال، وكان وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، من أنصار الحرب على جبهتَين في آن؛ غزّة والجنوب اللبناني، إضافة إلى الجبهة المُشتعلة في الضفّة الغربية. لكنّ الولايات المتّحدة، الشريك الفعلي للكيان الصهيوني في هذه الحرب، تدخّلت وحالت دون ذلك، في مقابل وعدها بإمداد الجيش الإسرائيلي بما يحتاجه من أسلحة وذخائر، ومضاعفة منظومات الأسلحة المضادّة للصواريخ في فلسطين المُحتلّة والمنطقة بأسرها، وإرسال حاملات الطائرات إلى شواطئ البحر المتوسّط لردع حزب الله عن تنفيذ عمليات واسعة.

ليست المواجهة الحتمية بين حزب الله والكيان الصهيوني وليدة اللحظة والأحداث الراهنة، بل هي استمرار لمواجهات سابقة بدأت بعد حرب عام 1982، التي نجم عنها احتلال أجزاء واسعة من لبنان، حين تشكّلت أولى خلايا الحزب، وقَوِيَ ساعدها بعمليات المقاومة التي أدّت إلى استنزاف جيش الاحتلال، وانسحابه من لبنان في عام 2000، من دون قيد أو شرط، وتفكيك جيش لبنان الجنوبي المُرتبط به، وإنهاء ما عُرف بالشريط الحدودي العازل. ثمّ تجدّد القتال في حرب عام 2006، بعد أسر الحزب جنديَّين إسرائيليَّين، ومُني الجيش الإسرائيلي، هذه المرّة، بخسائر فادحة حاول تعويضها بتدمير البنى التحتية في لبنان، واستهداف ضاحية بيروت الجنوبية، في ما عُرف بـ«عقيدة الضاحية»، التي تتمثّل باستهداف المناطق المدنية، التي تشكّل حاضنة شعبية للمقاومة، وهو الأسلوب الذي توسّع لاحقًا في استخدامه في غزّة، خلال حرب الإبادة الجماعية.

واصل حزب الله تعزيز قدراته العسكرية، ومراكمتها، بطرائق مختلفة، ولم تنجح محاولات العدوّ وغاراته الجوّية شبه اليوميّة لضرب خطوط الإمداد عبر الحدود العراقية - السورية، في معركة مستمرّة، كان الصبر فيها على الضربات سلاح المقاومة، والفشل حليف العدوّ، الذي عجز عن تدمير هذه القدرات في مرحلتها الجنينية، فتراكمت لتبلغ ما يزيد على مائة ألف صاروخ ذي تقنية عالية، وقدرات تدميرية كبيرة، وآلاف الطائرات المسيّرة، وجيش مدرَّب ومسلّح لا يقلّ تعداده عن مائة ألف مقاتل، وحاضنة شعبية مكّنته من التموضع في طول خطوط المواجهة في الجنوب اللبناني.

بعيداً من الموقف من الصراعات الإقليمية التي خاضها حزب الله، أو سياسته في الداخل اللبناني، وارتباطه الوثيق بالحرس الثوري الإيراني والسياسة الإيرانية في المنطقة، وتشابك علاقاته مع أصدقائه أو خصومه، فإنّ العدو الصهيوني ينظر إليه بوصفه أحدَ الأخطار الرئيسة التي تهدّده، ما جعل من المواجهة بين الطرفَين مسألةً حتميةً يرتبط توقيتُها باختيار اللحظة المناسبة، وقد كان ذلك قائماً قبل معركة طوفان الأقصى، واستمرّ خلالها. ولعلّ استمرار القتال في الجبهة الشمالية بشكل متواصل منذ بدء الحرب على غزّة، واتساع نطاقه، وخروج كلا الطرفَين مرّات كثيرة عن قواعد الاشتباك الأولى بينهما، وتسبّبه في هجرة ما يزيد على مائة ألف مستوطن في الجليل، والتطوّر الملحوظ في أداء المقاومة، وما تسبّبه صواريخها ومُسيّراتها من استنزاف يومي للجيش الإسرائيلي، وارتباك في جبهته الداخلية، وتعثّر جهود الوساطة الأوروبية والأميركية للوصول إلى اتفاق لوقف إطلاق النار على جبهة لبنان، الذيّ ربطته المقاومة بوقف القتال في جبهة غزّة، وقرب انتهاء عمليات الجيش الإسرائيلي في القطاع بانتهاء عملية رفح، والتوجّه إلى ما يطلق عليه «المرحلة الثالثة» من الحرب، التي تتمثّل في استمرار العمليات العسكرية اليومية، ولكن، على نطاق أضيق، وباستخدام حشد أقلّ من الوحدات العسكرية، قد لا يزيد على عشرة ألوية، أي ثلاث فِرق بدلًا من ستّ إلى عشر فِرق حاليّاً، ما يسمح بحشد هذه القوات الإضافية في الجبهة الشمالية، وسعي بنيامين نتنياهو إلى إطالة أمد الحرب إلى ما بعد الانتخابات الأميركية، ورغبة الحكومة الإسرائيلية في حسم معركتها مع حزب الله، في ظلّ حالة التعبئة العامّة المعلنة، وجنوح المجتمع والجيش الإسرائيلي نحو الحرب، وإدراكه عدم قدرته على شنّ حرب جديدة وتحمّل أعبائها بعد انتهاء الحرب الحالية بفترة وجيزة، خلال عام أو اثنين، إضافة إلى التعهّد الأميركي بتقديم الدعم الكامل للجيش الإسرائيلي إذا ما شنّ حرباً على لبنان... جميع هذه المعطيات تجعل احتمالات اندلاع حرب شاملة في لبنان أقرب من أيّ وقت مضى، وقد يكون ذلك خلال ساعات أو أيام أو أسابيع. وهي حربٌ قد يتجاوز هدفها تدمير قدرات الحزب القتالية، وتقليص خطره على الكيان الصهيوني، إلى إضعاف تأثيره الإقليمي من جهة، وإعادة رسم خطوط التوازنات السياسية اللبنانية من جديد، كما فعل العدوّ في حرب عام 1982، التي أسفرت عن تنصيب بشير الجميّل، ومن ثمّ أخيه أمين، رئيسين للبنان، في محاولة لفرض معادلات جديدة في مسألة التوازن الطائفي اللبناني.

تغيّرت استراتيجية العدوّ وأساليبه العملياتية في حروبه المتكرّرة على لبنان، ففي حرب 1982 وصلت قواته إلى أطراف بيروت والجبل والبقاع، في غضون أيام، وبقيت أجزاء من الأرض اللبنانية حتّى عام 2000، على خلاف حرب عام 1978، التي عُرفت بحرب الأيام الثمانية، أو حرب الليطاني، إذ سرعان ما انسحب العدوّ من المناطق التي احتلّها، وحلّت مكانه قوّات الأمم المتّحدة (يونيفيل). أمّا في حرب عام 2006، فكان تقدّم قوات العدوّ على الأرض محدوداً، وسط مقاومة ضارية، وركّزت على تدمير البنى التحتية، وفق «عقيدة الضاحية».

ستكون الحرب المتوقّعة طويلة وقاسية، وثمّة سيناريوهات إسرائيلية محتملة لها، يتوقّف تطبيق أيّ منها على الأهداف المرسومة للحرب، ومنها سيناريو عام 1978، الذي يهدف إلى إبعاد قوات حزب الله عن الحدود إلى ما وراء نهر الليطاني، وهو أمر صعب التحقيق لارتباط الحزب بحاضنته الشعبية في هذه المناطق، وضراوة القتال المتوقّع نظراً إلى حجم الاستعدادات المتواصلة منذ أكثر من 20 عاماً. وثمّة احتمال بأنّ يلجأ العدوّ إلى استخدام سلاح الجو بشكل مكثّف لضرب البنى التحتية، وقطع خطوط الإمداد، وتوجيه ضربة استباقية كبيرة، ويجب ألا يغيب عن البال، أيضًا، احتمالية تنفيذه مناورة برّية واسعة، قد تكون عبر الخاصرة السورية الرخوة باتجاه مواقع الحزب عبر البقاع، والالتفاف نحو الجنوب. وبطبيعة الحال، فإنّ كلّ سيناريو مرتبط بالهدف السياسي الكامن وراءه، والمدى الزمني اللازم لتحقيقه.

لكنّ سيناريوهات العدوّ ليست قدراً، وقد جرّبنا ذلك في قطاع غزّة الذي أصبحت الحرب فيه على أعتاب الشهر العاشر، على الرغم من التقديرات الأميركية التي قالت إنّها ستستغرق بضعة أسابيع، وما زال العدوّ عاجزاً عن تحقيق الأهداف التي أعلن عنها. ولدى المقاومة في لبنان قدرات عسكرية وقتالية تفوق تلك التي تمتلكها كتائب الشهيد عز الدين القسّام في غزّة، وصواريخها ومسيّراتها قادرة على الوصول، وبكثافة عالية، إلى أيّ هدف في الكيان المُحتلّ، بل قد يكون لديها القدرة على تنفيذ هجمات مضادّة باتجاه أجزاء من الجليل. وبحسب التقديرات الإسرائيلية، فإنّ خسائرهم في الجبهة الشمالية ستكون أكبر بكثير من خسائرهم في الجبهة الجنوبية.

ثمّة سؤال يكرّره المراقبون بشأن احتمال امتداد هذه الحرب لتشمل الإقليم، بمعنى أنّ تدخّل إيران طرفاً فيها، ما قد يستدعي تدخّلاً أميركياً مباشراً، وتدخّل قوى إقليمية أخرى، وأغلب الظنّ أنّ كلًا من إيران والولايات المتّحدة ستحاولان تجنّب هذا الخيار، وإنّما ستلجأ إيران إلى القتال عبر أذرعها في المنطقة، في حين لن تبخل الولايات المتّحدة على الكيان الصهيوني بالأسلحة والذخائر والمعلومات الاستخباراتية والمستشارين العسكريين، لكنّ هذا السيناريو يُغفِل نقطة مُهمّة تتعلّق بالرغبة الإسرائيلية بتوجيه ضربة إلى المشروع النووي الإيراني، وهو هدف طالما ردّده المسؤولون الإسرائيليون، فهل ستنجح الولايات المتّحدة في كبح جماح إسرائيل، أم أنّها ستنجرّ وتجرّ المنطقة بأكملها معها إلى حرب إقليمية سيكون لها ما بعدها؟

(كاتب فلسطيني)

> انتظر المغاربة، على أمل كبير، اندحار الهيمنة التي فرضها المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب أفريقيا، وهي هيمنة لم تكن في مصلحة المغرب

> في المثلث الخارجي، ذي التأثير المغاربي، تحضر إيران، التي بدأت تطبّع علاقتها مع جنوب أفريقيا، ومحاولتها لعب دور في شمال أفريقيا والساحل

> بحسب التقديرات الإسرائيلية، فإنّ خسائرهم في الجبهة الشمالية ستكون أكبر بكثير من خسائرهم في الجبهة الجنوبية

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **معن البياري** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **لياك حداد** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads